52 - السيدة رملة بنت شيبة

سبق إسلامها وهجرتها

اسمها رملة، والدها شيبة بن ربيعة، وعمها عتبة بن ربيعة، كانا من أشد سفهاء قريش على رسول الله ﷺ وأتباعه من المسلمين، تزوَّجها عثمان بن أبي العاص الثقفي، وبايع رسول الله ﷺ وهو في مكة.

أعلنت رملة إسلامها في مكة، وهاجرت مع زوجها إلى المدينة، وعانت كثيراً من قومها، لا سيما أبيها وعمها، وشق عليها عداؤهم لرسول الهدى والحق، الذي جاء للناس بخيري الدنيا والآخرة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر دينه، ولو كره الكافرون.

غير أن ظلم هؤلاء السفهاء لن يدوم، ولا بُدَّ أن يزول، فقد وعد الله نبيه ﷺ بنصره المبين قال جلَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: 47].

وكان الموعد في بدر، خرجت قريش يومئذٍ بكبار زعمائها، وذوي البأس والشدة فيها، وكانوا زُهاء ألف من المشركين، وكان مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً أخلصوا دينهم لله، واتبعوا نوره وهداه.

وقبل أن يلتحم الفريقان برز من قريش عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة وطلبوا من يبارزهم من المسلمين، فخرج لهم ثلاثة من أبطال الإسلام: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن

الحارث، وقتل حمزة صاحبه شيبة، وقتل عليٌّ الوليد، وتبادل عبيدة وعتبة ضربتين فسقط كلاهما جريحين، وبادر حمزة وعلي إلى عتبة فذفّفا[1] عليه، ثم حملا أخاهما عبيدة إلى معسكر المسلمين، وقد فقد إحدى ساقيه.

وجُنَّ جنون قريش لفقد أعتى رجالها خلال دقائق معدودات، ثم حمي وطيس المعركة، فقتل زعيم الأشقياء، وسيد السفهاء أبو جهل، ثم تلاه عقبة بن أبي معيط شريكة في جرائمه وإيذائه لرسول الله ﷺ، كما ظفر بلال رضي الله عنه بمن سقاه كؤوس العذاب أُمية بن خلف فتنادى مع ثلّةٍ من أصحابه، ومزّقوا أُمية بأسيافهم شرَّ ممزّق، وتم للمسلمين أعظم انتصار.

وكانت هند بنت عتبة وزوجها أبو سفيان بن حرب لا يزالان على شركهما مقيمين، في حين سبقتها ابنة عمها رملة وزوجها إلى الإيمان، ولما أتى هنداً نعي أبيها عتبة، وعمها شيبة وأخيها الوليد، عابت على رملة إسلامها، ونصرة من قتل أباها، فقالت:

لَحَـا الله صَـائِبَـةً بِـوَجٍّ وَمَكَّـة عِنْدَ أَطْرَافِ الحُجُونِ
تَـدِيْنُ لِـمَعْشَـرٍ قَتَلُوا أَبَاهَـا أَقَتْلُ أَبِيْكِ جَاءَكِ بِاليَقِيْنِ؟

ولم يؤثر قول هند في مسيرة الهدى التي سارتها رملة، لأنها كانت موقنة بأن أباها كان على الباطل، ولما كان يوم فتح مكة أدركت هند أن رملة كانت أرجح منها عقلاً حين سبقتها إلى ترك الضلال، وأسلمت هند وزوجها، وظهر الحق.

رحم الله رملة، وأحسن نزلها، ورضي عنها.

(1) ذفّف عليه: أجهز عليه.